١٩٦٧، بواسطة زوارق الصواريخ المصرية، ومفاجأة استخدام الصواريخ المضادة للطائرات في حرب العام ١٩٧٣، علامتين مميّزتين من علامات طبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، القاضي بعدم رضوخ الجانب العربي لسياسة «الردع» الاسرائيلية، أو التوقف عند وهم التفوّق الاسرائيلي المطلق؛ اضافة الى ان استمرار حالة الصراع سوف يدخل المنطقة في سباق التسلّح الذي لن تكون نتيجته مضمونة، تماماً، لاسرائيل؛ بل على عكس ذلك، قد تكون الغلبة، في هذا السباق، للطرف الذي يمتلك الامكانات الأكبر وغير القابلة للنفاد، على المدى المنظور، وهو الأمر الذي يعلن غير طرف عربي عن انه يسعى الى امتلاك القدرات العسكرية لردع اسرائيل، أو لتحقيق التوازن الاستراتيجي معها.

واذا كان للحرب العراقية ـ الايرانية من سلبية على اسرائيل، فهي انها زوّدت احد أهمّ الجيوش العربية بخبرات وامكانات هائلة، ومن ضمنها صواريخ باليستيكية أرض ـ أرض متوسطة المدى، ممّا أثار مخاوف حقيقية لدى القيادة العسكرية الاسرائيلية من احتمالات مشاركة قوات عراقية في أي حرب محتملة ضد الجانب العربي.

وبناء عليه، فان دراسة المركبات المؤثرة في نظرية الأمن الاسرائيلية توضح الى أي مدى استنفدت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية النموذج الكلاسيكي في ضمان «الأمن القومي» لاسرائيل، في ظل المتغيّرات التكنولوجية والبيئية المختلفة، على أعتاب العقد الأخير من القرن الحالي.

الطاقة البشرية

على الرغم من ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي لم يكن في حالة نزاع مسلّح دائم، بل هو أشبه ما يكون بحالة اللاسلم واللاحرب، وخليط من الحروب الشاملة ومعارك استنزاف وعمليات محدودة، الّا ان طبيعة النزاع فرضت على القيادة الاسرائيلية الاحتفاظ بقوات دائمة لحراسة خطوط الهدنة مع أربع دول عربية، ومن أجل صيانة السلاح والمحافظة على جاهزيته الدائمة لاستخدامه من قبل قوات الاحتياط الاسرائيلية، عند اندلاع الحرب الشاملة. وقد استخلصت القيادة الاسرائيلية من تجربة حرب العام ١٩٧٣ ضرورة زيادة حجم القوات الاسرائيلية الدائمة، لتخفيف حدّة المفاجأة العسكرية، اذا ما بادر الجانب العربي بالقيام بهجوم شامل.

ويتطلب أسلوب الاعتماد على القوات الاحتياطية، وفترة عدم اليقين في اثناء حدوث توترات عسكرية على الحدود، تعبئة قوات عسكرية ضخمة، استعداداً لخوض القتال، اذا ما اندلعت الحرب، أو لتنفيذ عمليات الاختراق والسيطرة، فيما اذا قرّرت اسرائيل شنّ الحرب.

وما يزيد في شعور الدونية في القوى البشرية لدى الاسرائيليين، هو ان الخطط الاسرائيلية تأخذ بالاعتبار، دائماً، احتمال ان يستمر الصراع فترة طويلة من الزمن، نسبياً، ودخول دول عربية عدة في ائتلاف حربي ضدهم، خصوصاً ان مسلسل النزاع العربي ـ الاسرائيلي المسلّح يثبت حقيقة اطالة أمد الحرب وارتفاع عدد القتلى في كل حرب جديدة تقع، بالمقارنة مع سابقتها. فحسب احصائية اجراها احدهم، اعتمد في حسابها على علاقة طردية بيانية مع تطوّر نسب الخسائر في الحروب السابقة، ظهر ما يلي: في حرب السويس، العام ١٩٥٦، قتل من الجيش الاسرائيلي ١٧٠ عسكرياً؛ وفي حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بعد عشر سنوات، ارتفع العدد الى ٨١٠ قتلى؛ وفي حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، بعد ست سنوات، وصل عدد القتلى الى ٢٦٨٠. وبناء عليه، يتوقع ان يسقط في الحرب المقبلة سبعة آلاف اسرائيلي قتلى، ونحو ٢٥ ألف جريح[١١].